1

الفصل الأول

مفهوم المنهج وموقعه من العملية التعليمية

التربية عملية قصدية وعمدية تهدف إلى بناء البشر وتكوين الإنسان، فهدف العملية التربوية هو تنمية الإنسان الفرد وتحقيق السعادة له وللآخرين المحيطين به في دنياه وأخراه، ومن هنا كانت المدارس كمؤسسات أوجدها المجتمع للتربية، وإعداد الأجيال الجديدة وفق قيم وأهداف المجتمع، وقد استعانت المدارس وغيرها من مؤسسات التربية بالمنهج، فالمنهج هو المترجم لعملية التربية ترجمة إجرائية من خلال صياغته لأهداف التربية وخططها واتجاهاتها في المجتمع، فالمنهج بهذا الوضع هو الوليد الشرعي للمجتمع والبيئة، فهو ينبثق من مطلوبات واحتياجات البيئة، ومن آمال وأهداف المجتمع وتطلعاته وقيمه وثقافته، فالمنهج شأن الثقافة في أي مجتمع له وطن، وله مفكرون يطورونه ويحدثونه وينقونه من الشوائب والأخطاء، وله أبناء ينتمون إليه.

والسؤال هنا هو: ما المنهج؟، وما موقعه في العملية التعليمية؟، وهذا ما سنحاول الإجابة عنه في السطور التالية:

المنهج تاريخياً:

قد يرى الكثيرون أن المنهج مفهوم حديث نسبياً مقارنة بالعديد من المفاهيم الإنسانية والتربوية، ولكنه مفهوم قديم فقد ورد في كتابات فلاسفة أمثال: أفلاطون في القرن الرابع قبل الميلاد، وكومنيوس في القرن السابع عشر الميلادي، وفرويل الذي ظهر في القرن التاسع عشر، وقد كانت النقلة النوعية في تناول مفهوم المنهج على يد جوهان فردريش هربارت" في ألمانيا وذلك في منتصف القرن التاسع عشر، حيث نادى في كتاباته بضرورة الاهتمام باختيار وتنظيم المادة الدراسية.

ثم أخذ المفهوم يظهر بصورة نظامية، ويتم تناوله في شكل دراسات متخصصة مع بدايات القرن العشرين، وكان ذلك على يد "فرانكلين بوبيت" الذي أصدر أول كتاب متخصص في علم المناهج عام 1918، ثم توالى بعد صدور عدد من الكتب في مجال المناهج، حتى أصدرت الرابطة القومية الأمريكية لدراسة التربية مرجعاً في المناهج عام 1926 بعنوان " أساسيات تشييد المناهج وتقنياتها".

وقد كانت أول دراسة منظمة لتخصص المناهج في الجامعات من خلال إنشاء أول قسم للمناهج والتدريس في أحد كليات المعلمين، وهي كلية المعلمين بجامعة كولومبيا في نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية عام 1937، وكان هذا بمثابة لاحظه فارقة في مجال المناهج، حيث جعلت من المناهج تخصص دراسي ضمن تخصصات التربية، له نظرياته وأسسه وفلسفته.

مفهوم المنهج:

تثير المفاهيم المعنوية المجردة كثيراً من الاختلاف حولها، ليس هذا على نطاق التربويين فقط، ولكن كل من يتعامل مع مثل هذه المفاهيم يعاني هذا الاختلاف، وبتطبيق هذه القاعدة على مفهوم المنهج نجد اختلافاً تربوياً كبيراً حول تعريف المنهج ومفهومه وعلى الرغم من هذا الاختلاف، فإنه يمكن التمييز بين نظرتين للمنهج؛ النظرة الأولى: تعالج المنهج بمفهومه القديم التقليدي، والنظرة الثانية: تنظر إلى المنهج نظرة متطورة حديثة، ولكل منهما أثرها في العملية التربوية وأثرها في مخرجات التعلم وفي المجتمع ككل.

وقبل الخوض في عرض النظرتين لمفهوم المنهج ينبغي أن نرجع إلى اللغة، فهي الأصل الأصيل الذي يشتق منه التربويون مفاهيمهم، ويختلفون ويتفقون حول ما يشتقون من مفاهيم ومصطلحات.

المنهج لغة: نهج الطريق نهجاً ونهوجاً، وضح واستبان، انتهج الطريق، استبانه وسلكه، و(المنهاج) الطريق الواضح والخطة المرسومة، ومنه: منهاج الدراسة، ومنهاج التعليم ونحوهما، والمنهج: المنهاج (ج) مناهج.

- "نهجٌ": طريقٌ نهجٌ: بيِّن واضحٌ، وهُوَ النهجُ، ومنهج الطريق: وضحه والمنهاج كالمنهج، وأنهج الطريق: وضح واستبان وصار نهجًا واضحًا بينًا والمنهاج الطريق الواضح .. والنهج الطريق المستقيم".
- "المنهاج": الطريق الواضح، ونهج الطريق: أبانه وأوضحه، ونهجه أيضًا سلكه"
- "النهج": النون والهاء والجيم أصلان متباينان: الأول: النهج: الطريق، ونهج لي الأمر: أوضحه، وهو مستقيم المنهاج والمنهج الطريق أيضًا، والجمع مناهج والآخر الانقطاع:

وأتانا فلانٌ يَنْهَج: إذا أتى مبهورًا منقطع النفس، وضربت فلانًا حتى أنهج: أي سقط"، مما سبق يتضح أن المنهج يتسم بـ:

1- الوضوح والإبانة.

2- الاستقامة وعدم الاعوجاج.

3- الاستمرار والتواصل.

4- السير في اتجاه معين.

5- الطريق المرسوم.

والسمات السابقة من الأهمية بمكان الالتزام بها في أي منهج من المناهج، يتم إعداده سواء وفقاً للمفهوم القديم أو المفهوم الحديث للمنهج.

المفهوم التقليدي للمنهج:

لقد كان المنهج الإغريقي (اليوناني) من أوائل المناهج الدراسية المنظمة، والذي يحتوي على ما يسمى بالفنون السبع الحرة، وتتمثل في مجموعتين، الثلاثيات (النحو، المنطق، البلاغة) والرباعيات (الحساب، الهندسة، الفلك، الموسيقى)، إلى جانب التربية البدنية والخلقية، وقد كان هذا المنهج يقوم على أساس أن معرفة الحق تؤدي إلى اتباعه بمعنى أن كثرة المعارف تؤدي إلى تدريب العقل وتنمية الذكاء وتعديل السلوك، وقد عرفه قاموس وبستر Webster عام 1856م بأنه" مقرر دراسي – خاصة في المرحلة الجامعية- وهو مقرر معين ومحدد سلفاً ويؤدي إلى الحصول على درجة علمية"، كما عرفه كارتر Carter بأنه "مجموعة المقررات الدراسية التي تلزم للتخرج والحصول على درجة علمية في ميدان رئيس من ميادين الدراسة"، وقد ظلت النظم التربوية متبعة لهذا المفهوم لفترات طويلة من تاريخ البشرية، ولا تزال أثاره موجودة حتى الآن في نظمنا التربوية والتعليمية خاصة في الدول النامية.

فالمنهج بمفهومه التقليدي عبارة عن " مجموعة من المعلومات والمعارف والحقائق والمفاهيم والقيم التي تعمل المدرسة على إكسابها للتلاميذ في المراحل الدراسية المختلفة بهدف إعدادهم للحياة، وتنمية قدراتهم عن طريق الإلمام بخبرات الآخرين والإفادة منها".

وهذه المعلومات والحقائق والمفاهيم كانت تُقدم في صورة مواد دراسية منفصلة ومختلفة موزعة على مراحل وسنوات الدراسة المختلفة، بمعنى أن المنهج بمفهومه التقليدي هو مجموعة المواد الدراسية التي يتولى المتخصصون إعدادها، ويقوم المعلمون بتدريسها، ويقوم التلاميذ بتلقيها وحفظها واستظهارها، ومن هنا جاء الترادف بين كلمة منهج دراسي ومقرر دراسي لدى المعلمين والطلبة، حتى حلّت كلمة منهج محل كلمة مقرر دراسي، فأصبح المعلمون بمرور الوقت يطلقون على مقرر التاريخ أو الجغرافيا أو الكيمياء .....الخ لصف من الصفوف كلمة منهج الجغرافيا أو منهج التاريخ أو منهج الكيمياء للصف...، على الرغم من الفرق الكبير بين مدلول الكلمتين من الناحية العلمية والعملية.

والمنهج بهذا المفهوم يركز تركيز شديد على المعلومات والمعارف حتى أصبحت هدفاً في حد ذاتها، وأصبحت العملية التعليمية متمركزة حول المعلومات والكتاب المدرسي الذي يحويها بين دفتيه، فالمعلم منوط بتلقين هذه المعلومات، والتلميذ منوط بحفظها واستظهارها والدولة مسؤولة عن توفير الوسائل والأدوات والأموال اللازمة، لتحقيق هذا التلقين والحفظ وإجراء الاختبارات التي من خلالها نتحقق من حدوث هذا التلقين والحفظ لهذه المعلومات، والتي تحولت لنصوص مقدسة، والتي بناء عليها ينتقل التلميذ من صف إلى آخر، ومن مرحلة إلى أخرى دون حدوث عملية تعليم وتعلم حقيقية.

متطلبات إعداد المنهج بمفهومه التقليدي:

يتطلب إعداد المنهج بمفهومه التقليدي القيام بالخطوات التالية:

1- تحديد المعلومات والمفاهيم اللازمة لكل مادة دراسية وفقاً لما يراه المتخصصون في هذه المادة، ويتم تنظيمها في شكل موضوعات مترابطة أو غير مترابطة تشكل محتوى المادة الدراسية.

2- توزيع هذه المواد الدراسية على مراحل وسنوات الدراسة بحيث يتضح من هذا التوزيع الموضوعات المخصصة لكل مرحلة، ولكل صف دراسي.

3- إعداد الكتب الدراسية لكل مادة وفقاً للموضوعات التي تم تحديدها لكل مرحلة وصف دراسي .

4- توزيع موضوعات المادة الدراسية على أشهر وأسابيع العام الدراسي.

5- تحديد الطرق والوسائل التعليمية التي يراها الخبراء والمتخصصون صالحة ومناسبة لتدريس موضوعات المادة الدراسية.

6- تحديد عدد ونوع الأسئلة والاختبارات المناسبة لقياس تحصيل التلاميذ في كل مادة دراسية.

نقد المنهج بمفهومه التقليدي:

لقد أدى تركيز المنهج بمفهومه التقليدي على المعلومات والحقائق والمفاهيم إلى إهمال معظم جوانب العملية التعليمية والتربوية، فنجد أنه:

1- يهمل النمو الشامل للتلميذ؛ حيث يهتم بالجانب المعرفي (التحصيلي)، ويهمل باقي الجوانب العقلية والنفسية والاجتماعية والبدنية والفنية.

2- يشجع المعلمين على إهمال حاجات وميول ومشكلات التلاميذ نتيجة اهتمامهم فقط بتوصيل أكبر قدر من المعلومات في مادتهم الدراسية.

3- يؤدي تركيز المعلمين على المواد الدراسية إلى إهمالهم لتوجيه سلوك التلاميذ، فالمعرفة في حد ذاتها غير كافية لتغيير السلوك الإنساني نحو الأفضل، بل لابد من إتاحة الفرصة للممارسة والتدريب على السلوك المرغوب.

4- لا يراعي الفروق الفردية بين التلاميذ، حيث يتم إعداد المنهج في ظل النظرة التقليدية وفقاً لمستوى واحد من التلاميذ؛ وهم متوسطوا القدرة دون النظر إلى التلاميذ مرتفعي ومنخفضي المستوى.

5- يهمل تكوين العادات والاتجاهات الموجبة لدى التلاميذ.

6- يعزز السلبية وعدم الاعتماد على النفس لدى التلاميذ؛ لأن دور التلميذ يقتصر على تلقي المعلومات واسترجاعها.

7- يؤدي إلى تضخم المقررات الدراسية نتيجة للزيادة المستمرة في المعرفة بشتى جوانبها والرغبة في إدخال الإضافات المستمرة عليها حتى تضخمت وأصبحت تمثل عبئاً ثقيلاً على المعلم والتلميذ.

8- يؤدي إلى عدم ترابط المواد، حيث أدى هذا التضخم في المعلومات إلى خلق حواجز بين المواد الدراسية المختلفة.

9- يؤدي إلى إهمال الجانب العملي والأنشطة التربوية؛ لأن التركيز على المعلومات يؤدي إلى اعتماد المعلمين على الطريقة اللفظية؛ لشرح وتفسير وتبسيط هذه المعلومات.

10- ترتب على ذلك ملل التلاميذ ونفورهم من الدراسة ومن المدرسة والتصرف بعدوانية تجاه المدرسة وأثاثها ولوائحها.

11- يُقلل من شأن المعلم ولا يتيح له الفرصة للقيام بالدور الذي يجب أن يقوم به، إذ يتطلب منه فقط مجرد نقل المعلومات المدونة بالكتاب المدرسي إلى أذهان الطلاب.

يتبين لنا مما سلف أن المنهج بمفهومه التقليدي يركز على المعلومات في صورة مقررات دراسية، وبذلك أصبح محصوراً في نطاق ضيق ولكن بمرور الوقت، ونتيجة للانتقادات التي وجهت إليه من ناحية، وظهور العديد من الأفكار والنظريات والتحولات الاقتصادية والاجتماعية والعلمية والتكنولوجية، من ناحية أخرى أصبح المنهج بهذا المفهوم لا يمكنه مسايرة التقدم في المجتمع وفي مجال التربية أيضاً، ومن ثَمّ ظهر مفهوم حديث للمنهج يركز بشكل أكبر على نمو التلميذ بصورة متوازنة من خلال الاهتمام أكثر بالأنشطة التربوية، وإيجابية التلميذ في أثناء عملية التعلم.

المفهوم الحديث للمنهج:

نتيجة لجوانب القصور التي ظهرت في المنهج بمفهومه القديم ظهرت نداءات لتطوير مفهوم المنهج حتى يواكب ويقود عمليات التطوير في مجال المناهج خاصة والعملية التعليمية عامة، وقد دفع هذا الاتجاه تقدم الفكر النفسي والتربوي في النظر لشخصية المتعلم بوصفها وحدة ديناميكية متكاملة معرفياً ومهارياً ووجدانياً، ظهور النظريات الحديثة في مجال علم النفس والتربية، والتي تدعو إلى نشاط المتعلم ومشاركته الإيجابية في العملية التعليمية.

ولذلك فقد عرف هارولد رج Harold Rugg المنهج بأنه " البرنامج الكلي لعمل المدرسة، وأنه الوسيلة الأساسية للتربية، وأنه كل ما يعمله التلاميذ ومعلموهم"، وعلى هذا فالمنهج من وجهة نظر "هارولد رج" له وجهان:

- الأول يتألف من الأنشطة والمهام التي تؤدى من جانب المعلم والمتعلم.

- الثاني يتألف من المواد الدراسية التي تتم بها الأنشطة والمهام.

كما عرفه "تايلر" بأنه " كل ما يتعلمه التلاميذ وتقوم المدرسة بالتخطيط له وتوجيهه لبلوغ أهدافها التربوية.

وعرفه "كارني وكوك" بأنه " كل الخبرات التي يكتسبها المتعلم تحت إشراف وتوجيه المدرسة.

وعلى ذلك فالمنهج بمفهومه الحديث هو" مجموع الخبرات التربوية المباشرة وغير المباشرة التي تهيؤها المدرسة للتلاميذ من خلال وسائط التعلم والنشاط المدرسي داخلها أو خارجها بقصد مساعدتهم على النمو الشامل، أي النمو في جميع الجوانب (العقلية، والثقافية، والاجتماعية، والدينية، والنفسية، والبدنية، والفنية) نمواً يؤدي إلى تعديل سلوكهم نحو الأفضل، ويعمل على تحقيق الأهداف التربوية المنشودة لهم من قِبل المجتمع.

ويتضمن هذا التعريف الإجابة عن السؤال التالي:

ما نوعية الخبرات التي يتضمنها المنهج؟ وأين يمر بها التلميذ؟ وما الهدف منها؟ .... وفيما يلي سنحاول الإجابة عن هذا السؤال على النحو التالي:

وفقاً لهذا المفهوم فإن المنهج يضمن خبرات تربوية أو خبرات مربية، بمعنى أن هناك تحديد لنوعية الخبرات التي يتضمنها المنهج بأنها مربية وهادفة، لأن هناك من الخبرات ما هو ضار ومدمر للفرد والمجتمع، ومنها ما هو مفيد لهما معاً، ومن واجب المدرسة أن توفر الظروف المناسبة لكي يمر التلاميذ بهذه الخبرات المربية تحت إشرافها وتوجيهها سواء داخل المدرسة (في الفصل، في المعمل، في الفناء، في الملعب، في المرسم، في الحديقة)، أو في خارجها(في الرحلات، في المعسكرات، في الزيارات الميدانية)، ومعنى ذلك أن التلميذ يتعلم داخل المدرسة وخارجها، والهدف من ذلك هو مساعدة التلميذ على النمو الشامل في كافة المجالات؛ لأن إهمال أحدها يؤثر في باقي الجوانب الأخرى.

كما أن هذا المفهوم يؤكد بصفة خاصة على أن أهداف التعليم لا تقتصر على المعرفة فقط، بل تمتد لتشمل جميع جوانب السلوك الإنساني، وأن التعليم جهد منظم مقصود ومُوجّه يسعى لتحقيق أهداف معينة، وأنه يتم تحت إشراف وتوجيه المدرسة بغض النظر عن

أسلوب التعلم(فردي أو جماعي)، أو في المكان الذي يجري فيه التعلم (المدرسة، والحقل، والمعمل، والمصنع، والمنزل، والمعسكر، والرحلة...)، كما أصبح النشاط المدرسي - داخل الفصل وخارجه- جزءاً أساسياً من المنهج الدراسي.

ومع التسليم بتنوع مفاهيم المنهج داخل هذين المجالين الأساسيين لمفهوم المنهج، فإننا نقول مدى القرب من أي من هذين المفهومين في صياغة وإعداد المناهج يعتمد بدرجة كبيرة على نوع التوجه الفكري التي ينتمي له مخططو المناهج ومصمموها، ومع التسليم بأن تعدد التوجهات الفكرية، و حصيلة تعدد النظم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعقائدية والثقافية في عالمنا المعاصر، وبأن طبيعة العصر الذي نعيشه تزيد من احتمالات التأثير والتأثر بين الثقافات المتعددة.

مكانة المنهج في النظام التربوي:

التربية عملية إنسانية لا تتم إلا في وجود مجتمع إنساني يتم فيه تفاعل الإنسان مع بيئته الطبيعية والاجتماعية، ويتم من خلالها بناء خلق الطفل في ضوء ما يرتضيه المجتمع فهي تهدف إلى إعداد الفرد ليحيا حياة كاملة في كل جوانب حياته، وهي تبدأ قبل الميلاد، أي منذ اختيار الزوجة، وتستمر مع الإنسان بعد مولده وعبر مراحل حياته المختلفة في كل جوانبها الجسمية والعقلية والخلقية والاجتماعية بصورة متكاملة ومتوازنة. ولكي تحقق العملية التربوية أهدافها لابد لها من أدوات ووسائل تُمثل نظمٌ فرعية للنظام التربوي، كما أن النظام التربوي نفسه نظاماً فرعياً لنظام أكبر وأشمل هو المجتمع، ومن هذه المنظومات الفرعية وأكثرها أهمية في النظام التربوي المنهج الدراسي.

فالمنهج الدراسي بوصفه نظاماً فرعياً من النظام التربوي ينعكس عليه كل ما يصيب التربية من متغيرات، وكل ما يمتد إليها من آثار لكونها نظاماً فرعياً من أنظمة المجتمع تؤثر فيه وتتأثر به، والمنهج الدراسي فوق ذلك كله هو المؤسسة المنوط بها ترجمة الفلسفة التربوية للمجتمع إلى أساليب تدريس، وإجراءات تأخذ طريقها ليس إلى المدرسة فقط، بل إلى حجرة الدراسة ذاتها.

فالمناهج الدراسية تحتل مكانة بالغة الخطورة في المنظومة التربوية والتعليمية في جميع المراحل الدراسية من رياض الأطفال وحتى الجامعة، وبدونها لا جدوى من أي فكر تربوي